الجوهر المنظوم
في ختم مقدمة ابن أجروم

تأليف

العلامة القاضي العارف بالله سيدي الحاج أحمد سكيرج
الأنصاري الخزرجي

تــحــقــيــق

الأســتــاذ مــحــمــد الــراضــي كــنــون

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

حمدا لمن ختم بالسعادة على أهلها فضلا منه ومنة، وجزاهم بما عملوا بتوفيقه إياهم لطاعته بالنعيم المقيم في الجنة، وجعل بينهم وبين المهالك في الدارين وقاية وجنة، والصلاة والسلام على الخاتم لما سبق تقدير وجوده في الأزل، والفاتح لما أغلق من أبواب الرحمة التي بدوام ملك المولى لم تزل. وعلى آله وأصحابه الجامعين لأشتات الفضائل والمكارم، والمشتتين جمع أهل الضلال والمظالم، من جعلهم الله نجوم اهتداء ليهتدى بهم في سبيل الهدى، مادامت الأفلاك بقدرة المولى تدور، واطمأنت بذكر الله القلوب في الصدور.

وبعد : فإنه لما من الله علينا بإقراء مقدمة الشيخ أجروم(1)، وختمناها تدريسا بالقرويين، أردت أن أقيد ما أمليناه ختما في التمام، قصدا للنفع به إن شاء الله تعالى، فإن التأليف يرى من بث العلم، لبقاء تحصيله بالكتابة والرسم، جعله الله من صالح الأعمال، ومما ينتفع به في الحال والإستقبال، آمين.

هو العلامة النحرير، ذو التوفيق والتحرير، العارف بالله، العابد الأواه، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن داود المعروف بابن أجروم الصنهاجي، نسبة إلى صنهاجة، بضم الصاد، لايجوز غيره عند ابن دريد، وأجاز غيره الكسر، وأما الفتح فهو تحريف، وهي قبيلة بالمغرب نسب إليها رحمه الله.

وأجروم بهمزة مفتوحة ممدودة، فجيم مضمومة، ثم راء مشددة مضمومة بواو، معناه بلسان البربر الفقير الصوفي، وهو المرابط عندهم، وحرفت لغتهم الآن، فيقولون أكرام. وكان رحمه الله إماما جليلا، متفننا حافظا نبيلا، متقنا عالما عاملا، وصالحا كاملا، ومما يدلك على صلاحه أن الله جعل الإقبال على تأليفه، فصار عند غالب الناس شرقا وغربا أن أول ما يقرأ بعد القرآن العظيم هذه المقدمة، فيحصل له النفع في أقرب مدة، ومما نسب له قوله، وقيل للمكودي رحمهما الله :

إذا عرضت لي في زماني حاجة — وقد أشكلت فيها علي المقاصد
وقفت بباب الله وقفة سائل — وقلت إلاهي إنني لك قاصد
ولست تراني واقفا عند باب من — يقول فتاه سيدي اليوم راقد

(1) أبو عبد ا محمد بن محمد بن داوود بن أجروم الصنهاجي، عالم نحوي، له شهرة واسعة، ولد بفاس عام 672هـ، وبها توفي بعد زوال يوم الأحد 10 صفر الخير عام 723هـ، ودفن داخل باب الجيزيين، وله مؤلفات منها : مقدمته المشهورة بالأجرومية، وفرائد المعاني في شرح حرز الأماني، للشاطبي، ونظم في علم القراءات سماه : البارع في قراءة نافع، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 112، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 221 رقم الترجمة 189، وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 210، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 217 رقم الترجمة 762، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 33.

ولد في السنة التي فيها توفي ابن مالك رحمه الله وهي سنة 672هـ، وتوفي يوم الاثنين بعد الزوال لعشر بقيت من صفر سنة 723هـ، وهي السنة التي ولد فيها ابن عرفة، فعمره 51 سنة، ودفن بباب الحمراء من مدينة فاس. وكان كثيرا ما يتبع الكوفيين في التعبير، وإلى الله المصير.

نبذة في مدح النحو :

اعلم أن علم النحو من أجل العلوم قدرا، وأعظمها وسيلة في إصلاح الألسنة، وفهم السنة، لأن الوارد منها من عربي مبين، ولا يفهم مقصوده إلا بمعرفة قواعد هذا الفن، لأنه سبيل للكشف عن وجه معاني الكلام على الصواب، وكذلك هو وسيلة لمعرفة كلام العرب مطلقا، ويصير به صاحبه للعلوم محققا، كما قيل :

النحو قنطرة إلى العلوم فهل	يجاز بحر على غير القناطير
إن النحاة أناس بان مجدهم	فوق العباد جميعا بالمقادير
أصل الفصاحة لا يخشون من أحد	عند القراءة في أعلى المنابر
فهل علمت بذيب خاف من غنم	أو أجود الأسد ذلت للخنازير
لو يعلم الطير ما في النحو من شرف	غنت ورنت إليه بالمناقير

فكل مغلق من المعاني فهو مفتوح أقفاله، وكل عويص من المباني فهو مبين أشكاله، وقد قيل :

إن علم الإعراب شيء عجيب	ينتقيه من العلوم اللبيب
فبه يرتقي سماء المعاني	ويحل المعنى العويص الغريب

ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه :

النحو يصلح من لسان الألكن	والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها	فأجلها منه مقيم الألسن

فهو لسان من أراد فصاحة الخطاب، والجمال الذي يتزين به المرء لا ما يلبس من الثياب، حكى الشيخ الدميري(2) وغيره أن الرشيد قال للأصمعي(3) ما أحسن ما مر بك من

(2) أبو البقاء محمد بن موسى الدميري، باحث، أديب، من فقهاء الشافعية، ولد بالقاهرة عام 742 هـ، وبها توفي سنة 808هـ، من مصنفاته : حياة الحيوان، مجلدان، واختصره في مصنف سماه : حاوي الحسان من حياة الحيوان، والديباجة في شرح كتاب ابن ماجة، في الحديث، خمس مجلدات، ومختصر شرح لامية العجم، للصفدي، والنجم الوهاج في شرح المنهاج، للنووي، وأرجوزة في الفقه، وغيرهم، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 11 ص 59، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 10 ص 59، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 118، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 4 ص 67.

(3) عبد المالك بن قريب بن علي الأصمعي، أديب، شاعر، لغوي، مؤرخ، ولد بالبصرة عام 122 هـ، وبها توفي عام 216هـ، من مصنفاته : الأضداد، وخلق الإنسان، والإبل، والفرق، والشاء، والخيل، والوحوش وصفاتها، والمترادف، وغيرهم، أنظر ترجمته في جمهرة الأنساب لابن حزم ص 234، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 288، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 1 ص 393-397، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 162.

تقويم اللسان، فقال أوصى رجل بعض بنيه فقال : يا بني اصلحوا من ألسنتكم، فإن الرحل تنوبه النائبة فيتحمل فيها، فيستعير من أخيه وأبيه ومن صديقه ثوبه، ولا يجد من يعيره لسانه، وأنشد في ذلك :

رأيت العز في أدب وعقل — وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بزين — إذا لم يسعد الحسن اللسان
كفى بالمرء عيبا أن تراه — له وجه وليس له لسان

وقد أجاد علي بن بشار في قوله في المعنى :

رأيت لسان المرء آية عقله — وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تحد إصلاح اللسان فإنه — يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله — فيسقط من عيني ساعة يلحن

وقد أجاد القائل :

النحو زين للفتى — يكرمه حيث أتى
من لم يكن يحسنه — فحقه أن يسكتا

ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه قوله :

لحن الشريف يحطه عن قدره — فتراه يسقط من لحاظ الأعين
وترى الذكي إذا تكلم معربا — حاز النباهة بالبيان المعلن

ويروى عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال : تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة، ومر بقوم وقد أخطأوا في الرمي فقال : سووا رميكم، فقالوا : نحن متعلمين بالياء، فقال : لحنكم علي أشد من سوء رميكم، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : رحم الله امرئ أصلح من لسانه(4).

ويحكى أن أعرابيا دخل سوقا فوجدهم يلحنون، فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون، وعنه (ﷺ) أنه قال : إن الله لا يسمع دعاء ملحونا، وقد اتفق العلماء على أن جميع العلوم تحتاج إلى هذا الفن، لا سيما التفسير والحديث، فإنه لا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله ولا سنة رسول الله (ﷺ) إلا بعد معرفته، فعن أبي هريرة مرفوعا : أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه(5). وفي رواية عن سيدنا علي كرم الله وجهه أيضا : أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن(6)، وفي رواية عن

(4) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 23، وعزاه لابن عدي في الكامل، وللخطيب البغدادي في تاريخه، ولابن الأنباري في الوقف، والمرهبي في العلم.
(5) أنظر الجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 46، وعزاه فيه للحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، ولابن أبي شيبة في مصنفه.
(6) أنظر الجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 46، وعزاه فيه لابن الأنباري في الوقف، والمرهبي في فضل العلم عن أبي جعفر معضلا.

ابن عمر أيضا : أعربوا القرآن يدلكم على تأويله، وقال الإمام مالك رضي الله عنه : لو صرت من العلوم في غاية، ومن الفهوم في نهاية، لرجع ذلك إلى أصلين، كتاب الله، وسنة رسوله (ﷺ)، ولا سبيل إليهما إلا بمعرفة اللسان العربي، ورحم الله أثير الدين ابن حيان(7) حيث قال :

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده — لقد فاز باغيه وأنجح قاصده
وما فضل الإنسان إلا بعلمه — ومافاز إلا ثاقب الذهن واقره
وقد قصرت أعمارنا وعلومنا — يطول علينا حصرها ونكابده
وفي كلها خير ولكن أصلها — هو النحو فاحذر من جهول يعانده
به يعرف القرآن والسنة اللذا — هما أصل دين الله من أنت عابده

وقد نصوا على أن اللاحن يحرم عليه أن يقرأ الأحاديث، قال الأصمعي : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي (ﷺ) : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، لأنه لم يكن (ﷺ) يلحن. فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه، وذلك لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب. ولا تفهم المعنى الأصوب إلا به من غير ارتياب. أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن شعبة أنه قال : إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار، تكون على رأسه مخلات ليس فيها شعير، ونظمه بعضهم في قوله :

إن من يطلب الحديث ولا يعـــــرف نحوا ولا له ألاته

كحمار قد علقت ليس فيها — من شعير برأسه مخلاته

وأخرج أيضا عن أبي الزناد عن أبيه أنه قال : ما تزندق من تزندق بالمشرق إلا جهلا بكلام العرب وعجمة قلوبهم، وأخرج البخاري في تاريخه عن الحسن قال : إنما أهلكتكم العجمة، وقال الكسائي(8) في مدحه :

(7) أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي، محدث، مفسر، لغوي، أديب، ولد بغرناطة عام 654هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 745هـ، من مصنفاته البحر المحيط في تفسير القرآن، في ثمان مجلدات، وطبقات نحاة الأندلس، ونور الغبش في لسان الحبش، ومنطق الخرس في لسان الفرس، والإدراك للسان الأتراك، وغيرهم. أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 302، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 121، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 282، وفي غاية النهاية للجزري ج 2 ص 285، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 6 ص 145، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 152.

(8) علي بن حمزة الأسدي الكسائي، أحد القراء السبعة، كان عالما بالنحو واللغة والقراءة، من كتبه : معاني القرآن، والنوادر، والمتشابه في القرآن، والمصادر، والحروف، وغيرهم. توفي رحمه ا بالري عام 189هـ، أنظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 535، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 330، وفي إنباء الرواة للقفطي ج 2 ص 256، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 283، وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 138.

النحو علم شريف | وفضل معناه باد
فربه في أمان | من زيغة في اعتقاد

وقال أيضا :

إنما النحو قياس يتبع | وبه في كل علم ينتفع
وإذا ما أتقن النحو الفتى | مر في المنطق مرا فاتسع
وإذا لم يعرف النحو الفتى | هاب أن ينطق حينا فانقمع
فتراه ينصب الرفع وما | كان من نصب ومن خفض رفع

وقيل :

إذا ركب الفقيه جواد نحو | يكون له الفخار على الرجال
يقول مقالة من غير لحن | وتكمل عنده جل الخصال

ومما يحكى في فضله أن القاضي ابن خلكان(9) ذكر في ترجمة : تعلب، أحد أئمة هذا الفن، أن أبا بكر بن مجاهد المقري قال : قال لي ثعلب(10) : يا أبا بكر، اشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة، فانصرفت من عنده، فرأيت النبي (ﷺ) تلك الليلة في المنام، فقال لي: اقرأ أبا العباس عني السلام، وقل له أنت صاحب العلم المستطيل إهـ ...

ثم إنه يجب على العاقل بعد إصلاح لسانه، أن يسعى في إصلاح جنانه، وذلك بتصفيته من الرذائل، وتحليته بأنواع الفضائل، ليتأهل بذلك قلبه لإشراق أنوار حقائق التوحيد والعرفان، وأسرار التفريد التي توصل العبد إلى الرضوان، وأما من لم يتخلق بما يطهر قلبه من الأدناس، واشتغل بإصلاح لسانه ليتصدر بين الناس، فذلك الذي استحوذ الشيطان على قلبه، وجلس على رأسه إبليس حتى صيره من حزبه، فيصير يتبجج على الناس بلسانه، ويظن بذلك أنه هو أفضل

---

(9) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، مؤرخ، أديب، ولد في إربل بالقرب من الموصل على شاطئ الدجلة الشرقي عام 608هـ، وكانت وفاته بدمشق عام 681 هـ، ومن مصنفاته : وفيات الأعيان وأنباء الزمان، في علم التراجم، أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 7 ص 353، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 1 ص 55، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 220.

(10) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني المعروف بثعلب، إمام أهل الكوفة في النحو واللغة والشعر، وهو فقيه محدث، ولد ببغداد عام 200هـ، وبها توفي عام 291هـ، من مصنفاته : قواعد الشعر، وشرح ديوان زهير، وشرح ديوان الأعشى، والفصيح، والمجالس، في مجلدان، ومعاني الشعر، والشواذ، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، وغيرهم. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 30، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 172، وفي إنباء الرواة للقفطي ج 1 ص 138، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 267، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 2 ص 752.

أهل زمانه، فيتمكن من قلبه عضال الفخر والتكبر، بما قصد من الرياسة والتصدر، وقد أجاد القائل :

ومعتقد أن الرياسة في الكبر — فأصبح منحطا بها وهو لا يدري
يجر ذيول الفخر طالب رفعة — ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

فإصلاح اللسان دون إصلاح الجنان فسق وضلال، وإصلاح الجنان دون إصلاح اللسان كمال دون كمال، وإصلاحهما معا كمال الكمال. ورحم الله الإمام سيبويه(11) حيث يقول :

لساني فصيح معرب في كلامه — فيا ليته في موقف الحشر يسلم
وما ينفع الإعراب لو لـم تكـن تـقـى — وما ضر ذا التقـوى لسـان معجـم

فإصلاح القلب باتباع السنة والكتاب، أفضل من إفراد إصلاح اللسان في الخطاب، قيل للولي الكبير العارف الشهير سيدي أحمد بن موسى(12)، هل قرأت شيئا من النحو، فقال : قرأت بيتين من الألفية، قوله :

فما لنا إلا اتباع أحمدا

وقوله :

فما أبيح افعل ودع ما لم يبح(13)

ومما يحكى أن الشيخ محي الدين اللقاني جاء ليأخذ الطريق عن سيدي أبي السعود الجارحي(14) فقال :

---

(11) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب بسيبويه، إمام النحاة، ولد بإحدى قرى شيراز عام 148هـ، ودخل البصرة فأخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن مصنفاته : كتاب سيبويه في علم النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، وكانت وفاته رحمه الله عام 180هـ، وله من العمر 32 سنة، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 385، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 176، وفي طبقات النحويين للزبيدي ص 66-74، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 81.

(12) الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي السملالي، من أكابر المشايخ الصوفية بالمغرب خلال القرن العاشر الهجري، وهو من تلامذة الشيخ سيدي عبد العزيز التباع، وعلى يديه فتح له، وكانت وفاته رحمه الله عام 971هـ، وضريحه ببلاد سوس مشهور يتبرك به، قال في مرآة المحاسن : وثبت بخط الثقاة من فقهاء حضرته وغيرهم أنه لم يكن يحفظ من الشعر إلا قول القائل:

تأمل سطور الكائنات فإنها — من الملأ الأعلى إليك رسائـل
ولا تلتفت للغير فالكل هالك — ألا كل شيء ما خلا الله باطل

أنظر ترجمته في ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 76، وفي رجالات العلم العربي في سوس للمختار السوسي ص 24.

(13) أنظر ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 77.

(14) الشيخ العارف بالله تعالى أبو السعود الجارحي، من مشاهير الصوفية بمصر خلال القرن العاشر الهجري، وهو من أجل تلامذة الشيخ شهاب الدين المرحومي، توفي رحمه الله في حدود عام 930هـ، ودفن بزاويته بالكوم الخارج بالقرب من جامع عمرو، في السرداب الذي كان يعتكف فيه، وهو من جملة المشايخ الذين أخذ عنهم القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 129 رقم الترجمة 14.

يظن الناس بي خيرا وإني   أشر الناس إن لم تعف عني

بنصب الناس، ففارقه الشيخ اللقاني ساكتا، وفي نفسه قال : هذا لا يفرق بين الفاعل من المفعول، ثم إنه رأى رؤيا تدل على رفعة مقام الشيخ أبي السعود، فجاءه، فلما رآه الشيخ قال : الصواب رفع الناس، فقال اللقاني الله أكبر، فقال الشيخ : كيف تطلب الطريق وأنت تفر من نصبة وتاتي برفعة، فتاب واستغفر.

ويحكى أن بعض النحويين دخل مجلس الحسن بن سمعون رضي الله عنه ليسمع كلامه، فوجده يلحن، فانصرف عنه، فصرف عنه آماله، فبلغ ذلك ابن سمعون، فكتب له : إنك من كثرة الإعجاب، رضيت بالوقوف دون الباب، فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك، وإنك قد تهت بين رفع وخفض وجزم ونصب، فانقطعت عن المقصود، هلا رفعت إلى الله جميع الحاجات، وخفضت المنكرات، وجزمت نفسك عن الشهوات، ونصبت بين عينيك الممات، والله يا أخي لا يقال للعبد غدا : لم لم تكن معربا، وإنما يقال له كنت مذنبا، ولم تكن تائبا، ليس المراد من العبد فصاحة المقال، وإنما المراد فصاحة الفعال، ولو كان الفضل في فصاحة اللسان لكان هارون أولى بالرسالة من موسى عليهما السلام، حيث قال : وأخي هارون هو أفصح مني لسانا، الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

الـــخـــاتـــمـــــــــــة

ختم الله لنا بالسعادة، وجعلنا من أهل الحسنى والزيادة، إن المصنف رحمه الله قد ختم هذه المقدمة بالمخفوضات، إشارة إلى أنه ينبغي لمن أهله الله للتعليم والتأليف أن لا ينظر لعلمه وعمله بعين الرضا والكمال، بل ينبغي له وإن بلغ ما بلغ التواضع وترك الدعوى في الفعل والمقال، فإن الدعوى سبب للهلاك في الحال والمآل، وقد أهلك الله ثلاثة أشخاص بسبب الدعوى، بعدما نالوا الرياسة الكبرى.

فأولهم إبليس لعنه الله حيث قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين(15)

والثاني فرعون قبحه الله حيث قال : أنا ربكم الأعلى(16)

والثالث قارون حيث قال : إنما أوتيته على علم عندي(17)

فلذلك حذر ساداتنا الصوفية رضوان الله عليهم من إضافة شيء إلى أنفسهم كما قيل :

ثلاثة مهلكـــة للـــعـــبـــــد   وهـي لـي ثـــم أنـــا وعـنــــــدي

---

(15) سورة الأعراف، الآية : 12.
(16) سورة النازعات، الآية : 24.
(17) سورة القصص، الآية ك 78.

قال الإمام ابن عربي قدس سره : مقام ساداتنا الصوفية الاجتماع على قلب واحد، أسقطوا الياءات الثلاث، فلا يقولون لي ولا عندي ولا متاعي، أي لا يضيفون إلى أنفسهم أي ملك لهم دون خلق الله. وقال أيضا : قال أهل طريق الله رضي الله عنهم : التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف، وأنشد :

إن الحديد إذا ما الصنع يدخله — في غير قر له يرده ذهبا

كذلك الخلق المذموم يرجع محمودا إذا هو للرحمان قد نسبا

إن التصوف أخلاق مطهرة — مع الإلاه فلا تعدل بها نسبا

ولا شك أن التواضع من مكارم الأخلاق، التي بها تنال المراتب العلى عند الخلاق، فقد قال عليه الصلاة والسلام : من تواضع لله رفعه(18)، وفي الحديث القدسي : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

وانظروا إلى الباء من حرف الخفض، فإنها لما كانت لازمة الكسر قدمها المولى على حروف البسملة الشريفة، إشارة إلى أنه لا يتقدم لحضرته إلا أهل الإنكسار، ورضي الله عن سلطان العاشقين ابن الفارض(19) حيث قال مشيرا إلى ذلك :

ولو كنت بي من نقطة الباء خفضة — رفعت إلى ما لم تنله بحيلة

قال الإمام مالك رضي الله عنه : ينبغي للعالم إذا أعطاه الله علما وكان يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه إذا خلا بنفسه، ولا يفرح بالرياسة فإنه إذا اضطجع في قبره ساءه ذلك.

هذا وفي قول المصنف : وخاتم حديد، براعة الختام، وهي عند علماء البديع أن يوتي في الكلام بما يوذن بانتهائه، وإضافة حديد إلى خاتم على معنى من، فهي إضافة بيانية، وضابط هذه الإضافة أن يكون المضاف بعضا من المضاف إليه، ويصح الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف، ولاشك أن خاتم في هذا المثال بعض من الحديد المضاف إليه، ويصح فيه الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف فتقول : هذا الخاتم حديد، ومثله أيضا : ثوب خر، وباب ساج، والحديد معروف، ومنافعه كثيرة، قال تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس(20)، وهو في عبارة المصنف إشارة إلى أن قلبه كان حادا، أي قاطعا وجازما بأن هذه المقدمة خالصة لوجه الله الكريم، لا رياء فيه ولا سمعة، وهو رحمه الله صادق في مقالته هذه، والله أعلم.

---

(18) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 169، وعزاه لأبي نعيم في الحلية.

(19) عمر بن علي بن مرشد المشهور بشرف الدين ابن الفارض، أشعر المتصوفين، يلقب بسلطان العاشقين، ولد بمصر عام 576هـ، وبها توفي سنة 632هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 383، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 2 ص 266، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 317، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 55، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 59، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 5 ص 149-153.

(20) سورة الحديد، الآية : 25.

ويذلك على صدقه أن الله جعل الإقبال عليه والنفع به عاما كما تقدم، وقد علمت أن العمل إذا كان غير خالص لوجه الله لا يقبل من صاحبه، وإن كان خالصا قبله الله فيضع الإقبال عليه في عباده.

والخاتم عند الإطلاق تنصرف إلى حلقة تستعمل في الأصبع ذات فص من غيرها، فإن لم يكن لها فص فهي بتخة، بباء ومتناة وخاء معجمة، بوزن قصبة ولفظ الخاتم بفتح المتناة وبكسرها، وفيه لغات جمعها العراقي(21) رحمه الله بقوله :

خد عد نظم لغات الخاتم انتظمت   ثمانيا ما حواها قبل نظام

خاتام خاتم ختم خاتم وختام خاتيام وخيتوم وخيتام

وهمز مفتوح تاء تاسع وإذا   ساغ القياس أتم العشر خاتام

وزيد عليه خاتم وختم محركة، كما ذكره القاموس وابن سيده(22) وغيرهما، ويطلق الخاتم على معان، فيطلق على الآلة التي تجعل في الأصبع وهو المراد هنا.

ثم اعلم أن التختم بالحديد كالنحاس قد كرهه بعض الأئمة، لما ورد عن النبي (ﷺ) في الحديث : ما طهر الله كفا فيها خاتم من حديد(23)، وورد أيضا عن النبي (ﷺ)، أنه رأى بيد رجل خاتما من صفر فقال : ما لي أجد منك ريح الأصنام، فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال : ما لي أرى عليك حلية أهل النار، وفي رواية أنه (ﷺ) أراد أن يكتب كتابا إلى الأعاجم يدعوهم إلى الله تعالى، فقال له رجل يا رسول الله : إنهم لا يقبلون إلا كتابا مختوما، فأمر أن يعمل له خاتم من حديد، فجعله في أصبعه، فأتاه جبريل فقال له : انبذه من أصبعك، فنبذه من أصبعه، وأمر بخاتم آخر يصاغ له، فعمل له خاتم من نحاس، فجعله في أصبعه، فقال له جبريل : انبذه فنبذه، وأمر بخاتم آخر يصاغ له من ورق، فجعله في أصبعه، فأمره جبريل إلى آخر الحديث.

---

(21) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان المعروف بالحافظ العراقي، من أكابر علماء الحديث، أصله من بلاد الأكراد بالعراق، قدم لمصر وبها أخذ العلم، وكانت وفاته بالقاهرة عام 806هـ، ومصنفاته كثيرة منها : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، ألفه في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي، والألفية في مصطلح الحديث، وشرحها في مجلد واحد سماه فتح المغيث، وغير ذلك من التآليف الأخرى، أنظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج 4 ص 171، وفي غاية النهاية للجزري ج 1 ص 382، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1317، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 344، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 814-818 رقم الترجمة 458، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 414 رقم الترجمة 898.

(22) علي بن إسماعيل المشهور بابن سيده، أحد أئمة الأدب واللغة، ولد بمرسية بالأندلس عام 398 هـ، من مصنفاته : المخصص، في علم اللغة، في 17 جزءا، والمحكم والمحيط الأعظم، في أربعة مجلدات، والأنيق، في شرح حماسة أبي تمام، وغيرهم، وتوفي رحمه ا بالأندلس عام 458هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 342، وفي إنباء الرواة للقفطي ج 2 ص 225، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 205، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 263.

(23) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 146، وعزاه للبخاري في التاريخ، وللطبراني في المعجم الكبير.

ولكن اختار النووي أنه لا يكره لخبر الشيخين : التمس ولو خاتما من حديد(24)، ولو كان مكروها لم يؤذن فيه، ولخبر أبي داود : كان خاتم النبي (ﷺ) من حديد ملويا عليه فضة، قال: وخبر النهي عنه ضعيف.

وفي الحديقة الندية : وأجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل في الخنصر، وأما المرأة فإنها تتخذ خواتيم في أصابع، قالوا : والحكمة في كونه في الخنصر أنه أبعد من الإمتهان فيما يتعاطى باليد كونه طرفا، وكونه لا يشغل اليد عما تتناوله من أشغالها، بخلاف الخنصر.

قال الإمام ابن العربي : والخاتم عادة في الأمم ماضية، وسنة في الإسلام قائمة، وقال ابن جماعة(25) وغيره : وما زال الناس يتخذون الخواتيم سلفا وخلفا من غير نكير، يعني ما لم يطرأ عليه مانع، بحيث لا يستعمل للمباهات ونحوها، ولم يزد وزنه على درهمين شرعيين، ولم يكن فيه ذهب وإلا حرم استعماله.

قال الشيخ خليل رحمه الله عاطفا على ما يجوز اتخاذه واستعماله : وخاتم فضة لا ما بعضه ذهب ولو قل، يعني أنه يجوز استعمال خاتم الفضة بل يسن ما لم يكن مختلطا بذهب، ولو كان الذهب أقل من الفضة، وإلا حرم استعماله في حق الذكور، وحمل النهي في المختلط على الكراهة، ولم يحكي الإمام ابن رشد(26) غيرها.

وحمل عليه أيضا المطلى بالذهب فأحرى المغشى به، ولا يجوز تعدد الخواتيم في حق الذكر، ولو كان وزن الجميع المتعدد درهمين، ويستحب كون التختم باليسرى، لا فرق بين الأعسر وغيره، وكره مالك جعله باليمنى.

وإنما استحب جعله باليسرى لأنه آخر الأمرين من فعله (ﷺ) كما ورد الحديث بذلك، ولأن لبسه في اليسرى في الغالب أبعد لقصد التزيين، وإنما قلنا لا فرق بين الأعسر وغيره لسؤال ورد في الجامع من نوازل ابن رشد، ففيها: ومنها أنك سألت عن وجه كراهة مالك التختم في اليمنى مع ما روي عن النبي (ﷺ) أنه كان يحب التيمن في أموره كلها، وهل يسامح في ذلك الأعسر أم لا؟ وهل بين قريش وغيرهم في ذلك فرق؟ فأجاب: ما ذهب إليه مالك من استحباب التختم في اليسار هو الصواب، أما في اليمين فإنه مكروه.

---

(24) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب اللباس، باب خاتم الحديد رقم الحديث 5533.

(25) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، من أكابر حفاظ الحديث، ولد بدمشق عام 694هـ، وكانت وفاته بمكة سنة 767هـ، من مصنفاته : نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، وأنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة، وهداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، وغيرهم. أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 378، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 1940، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 26، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 306 رقم الترجمة 127.

(26) سبق التعريف به في ج 1 ص 50 من هذا المؤلف.

ولقد أحسن بعضهم في الإعتزاز بالتختم باليمين :

قالوا تختم باليمين وإنما ... مارست ذاك تشبها بمحمد
وتقربا مني لآل محمد ... وتباعدا مني لكل منافق
الماسحين فروجهم بخواتم ... اسم النبي بها واسم الخالق

وأنشد جمال الدين ابن مالك(27) في شرحه في التختم في الشمال قول القائل :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا ... أصم في نهار القيض للشمس باديا
وأركب حمارا بين سرج وفروة ... وأعري من الخاتام صغرى شماليا

وفي الحديث أن وزنه درهمان فضة وفصه منه، وجعله مما يلي كفه، والحديث الذي ذكرته حجة له لا عليه، وذلك لأن الإنسان إنما يتناول باليمين على ما جاءت به السنة، فهو إذا أراد التختم تناول الخاتم بيمينه فجعله في يساره. وإذا أراد أن يطبع على مال أو كتابة أو شيء تناوله بيمينه من شماله فطبع به ثم رده في شماله، ثم قال : ولا فرق بين الأعسر وغيره، ولا بين القرشي وغيره.

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان خاتم النبي (ﷺ) في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى، وعن علي رضي الله عنه : نهانا رسول الله (ﷺ) عن التختم في هذه وأومأ إلى الوسطى والمسبحة، وعن أنس كان النبي (ﷺ) إذا دخل الخلاء نزع خاتمه من يده.

ولا بأس أن يجعل الخاتم في اليمنى للحاجة يتذكرها كالرتيمة المستعملة في الأصبع لاستذكار الحاجة، قال الشاعر :

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم ... فليس بمغن عنك عقد الرتائم

وقد فعله النبي (ﷺ)، فعن سيدنا عمر رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) كان إذا أشفق من حاجة أن ينساها جعل في أصبعه خيطا ليذكرها، ويحصل بجعل الخاتم في اليمنى للتذكر فضل السنة، وإذا جعله في اليمنى لغير التذكر فلا يحصل للكراهة المتقدمة، ولم يأخذ الإمام مالك رضي الله عنه بالأحاديث الواردة في التختم في اليمين، ورجح الإمام الترمذي وغيره روايات تختم النبي (ﷺ) باليمين على روايات تختمه في يساره، حتى قال الترمذي في جامعه : روي عن أنس أن النبي (ﷺ) تختم في يساره وهو لايصح.

---

(27) محمد بن محمد بن عبد ا بن مالك الطائي، ابن ناظم الألفية، ولد بدمشق وبها توفي عام 686هـ، من مصنفاته : شرح ألفية ابن مالك، ويعرف بشرح ابن الناظم، وشرح لامية الأفعال، وروض الأذهان، في علم المعاني، والمصباح، في علمي المعاني والبيان، وغيرهم. أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 7 ص 373، وفي شذرات الذهب لابن عماد ج 5 ص 398، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 96، وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 234، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 31.

ونقل عن البخاري أن التختم في اليمين أصح شيء في هذا الباب عن النبي (ﷺ).

قالوا ويجمع بين روايات اليمين وروايات اليسار بأن كلا منهما وقع في بعض الأحوال، أو أنه (ﷺ) كان له خاتمان كل واحد في يد، أو كان تارة يستعمله في اليمين وتارة في اليسار، كما جمع بين ما فصه منه وبين ما كان فصه من جزع، وهو خرز فيه بياض وسواد، أو من عقيق، ومعدنهما بالحبشة.

قال البيهقي : الأشبه بسائر الروايات أن الذي كان فصه حبشيا هو الخاتم الذي اتخذه من ذهب ثم طرحه، والذي فصه منه هو الذي اتخذه من فضة، وذكر نحوه الإمام ابن العربي وجرى على ذلك القرطبي ثم النووي.

وقد ورد في حديث غريب كراهة كون فص الخاتم من غيره، وهو ما روي عن علي بن زيد عن أنس بن مالك عنه (ﷺ) أنه كره أن يلبس خاتما ويجعل فصه من غيره، فالمستحب أن يكون فص الخاتم منه لا من غيره، وإلى جمع ما تقدم مع زيادة فائدة في كونه يستعمل في الخنصر أشار الحافظ العراقي بقوله :

يلبسه كما روى البخاري ... في خنصر يمين أو يسار
كلاهما في مسلم ويجمع ... بأن ذا في حالتين يقع
أو خاتمين كل واحد بيد ... كما بفص حبشي قد ورد

وينبغي ألا يستعمل بالفص، ولا سيما ما كان ذا قيمة، لأنه يقصد به المباهات من غير شك، وأما خبر : تختموا بالزبرجد فإنه يسر لا عسر فيه، فهو موضوع، ومثله في الوضع الأمر بالتختم بالياقوت والعقيق كما نصوا على ذلك، ويجوز نقش الخواتم ونقش أسماء أصحابها وأسماء الله تعالى فيها، وهو قول إمامنا مالك، وكان نقش خاتمه (ﷺ) محمد رسول الله في ثلاثة أسطر، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر أسفل، وقيل بالعكس ليكون اسم الله فوق الكل، ومحمد أسفل، ورسول أوسط، وقيل كان سطرا واحدا، والأول أصح. وذكر الإمام فخر الدين الرازي(28) في تفسيره أن النبي (ﷺ) دفع خاتمه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال : اكتب فيه لا إله إلا الله، فدفعه إلى النقاش، وقال له : اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكتب النقاش فيه ذلك. فأتى أبو بكر بالخاتم إلى النبي (ﷺ)، فرأى النبي (ﷺ) فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر، فقال يا أبا بكر ما هذه الزوائد، فقال أبو بكر : يا رسول الله ما رضيت أن أفرق اسمك عن اسم الله، وأما الباقي فما قلته، وخجل أبو بكر، فجاء جبريل عليه السلام وقال : يا رسول الله أما إسم أبي بكر فأنا كتبته لأنه ما رضي أن يفرق اسمك عن اسم الله، فما رضي الله أن يفرق اسمه عن اسمك.

(28) أبو عبد ا محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري - فخر الدين الرازي - فقيه، مفسر، أصولي، له مؤلفات كثيرة منها : مفاتيح الغيب، في تفسير القرآن في ثمان مجلدات، ولوامع البينات في شرح أسماء ا تعالى والصفات، ومعالم أصول الدين، والمسائل الخمسون في أصول الكلام، وغير ذلك من التصانيف الكثيرة.
ولد بالري وإليها نسبته وذلك عام 544هـ، وكانت وفاته رحمه ا سنة 606هـ، أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 5 ص 33، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 426، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 313.

وورد النهي عن نقش الخواتم بالجملة الأخيرة من الشهادة للإلتباس، فعن ابن عمر أن النبي (ﷺ) اتخذ خاتما من فضة وجعل فصه مما يلي كفه، ونقش فيه محمد رسول الله، ونهى أن ينقش أحد عليه، أي مثل نقشه.

وفي رواية البخاري عن أنس : اتخذ رسول الله (ﷺ) خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله، وقال إني اتخذت خاتما من ورق ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه.

وفي الحديقة الندية لسيدي عبد الغني النابلسي(29)، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) اتخذ خاتما من ذهب، أي قبل تحريمه على الرجال، ثم ألقاه، ثم اتخذ خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله، ونقش الحسن بن علي رضي الله عنهما : العزة لله، ونقش خاتم معاوية رضي الله عنه : رب اغفر لي، ونقش خاتم ابن أبي ليلى(30) رحمه الله : الدنيا غرور، ونقش خاتم الإمام الأعظم رحمه الله تعالى : قل الخير وإلا فاسكت، ونقش خاتم أبي يوسف(31) رحمه الله : من عمل برأيه ندم، ونقش خاتم محمد(32) رحمه الله تعالى : من صبر ظفر، ونقش خاتم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : البركة في القناعة، وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير أنه وجد تحت وسادة الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى قوله :

---

(29) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي، فقيه محدث أديب صوفي، ولد بدمشق عام 1050هـ، له مصنفات كثيرة منها : تعطير الأنام في تعبير المنام، والحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث، وجواهر النصوص في شرح الفصوص، لابن عربي الحاتمي، وحلة الذهب الإبريز في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا بدمشق عام 1143هـ، أنظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 756 رقم الترجمة 415، وفي سلك الدرر للمرادي ج 3 ص 30، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1832، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 32، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 219 رقم الترجمة 535.

(30) محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، قاض فقيه، من أصحاب الرأي، ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس، واستمر في ذلك 33 سنة، له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره، توفي بالكوفة عام 148هـ، أنظر ترجمته في الوافي بالوفيات لابن شاكر الكتبي ج 3 ص 221، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 3 ص 87، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 452، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 189.

(31) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، عرف بأبي يوسف، تلميذ الإمام أبي حنيفة، فقيه محدث، تولى القضاء ببغداد في عهد ثلاثة خلفاء وهم : المهدي، والهادي، والرشيد، وهو أول من ألف في أصول فقه مذهب الإمام أبي حنيفة، ومصنفاته كثيرة منها : الخراج، والآثار، واختلاف الأمصار، والأمالي في الفقه والنوادر، والرد على مالك بن أنس، وأدب القاضي، والبيوع، والجوامع، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا عام 182هـ، أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 2 ص 107، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 180، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 303، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 193.

(32) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة، وهو الذي نشر علمه ومذهبه، ولد بواسط عام 131هـ، ونشأ بالكوفة، له مصنفات مفيدة منها : المبسوط، والزيادات، والآثار، والسير، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والأمالي، والموطأ، والأصل، والمخارج في الحيل، وغيرهم. توفي رحمه ا في الري عام 189هـ، أنظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 202، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 2 ص 130، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 121، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 80.

ما في اختلاط الناس شيء ولا	ذو الجهل بالأشياء كالعالم
يا لائمي في تركهم جاهلا	عذري منقوش على خاتمي

فوجدوا نقش خاتمه وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين(33).

قال ابن عرفة : ونقش الخواتم تارة يكون كتابة وتارة يكون غيرها، فإن لم يكن كتابة بل بمجرد التحسين فهو مقصد مباح، إذا لم يقارنه ما يحرمه كنقش نحو صورة شخص، وإن كانت كتابة فتارة ينقش من الألفاظ الحكمية ما يفيد تذكر الموت فهو جائز، كما روى أن نقش خاتم عمر رضي الله عنه : كفى بالموت واعظا.

وتارة ينقش اسم صاحبه للختم به أو مثل ذلك، فقد كان نقش خاتم علي : الله الملك، وابن الجراح : الحمد لله، وأبي جعفر الباقر : العزة لله، وإبراهيم النخعي : الثقة بالله، ومسروق : بسم الله.

وقد قال (ﷺ) : اتخذ آدم خاتما، ونقش به لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال في نوادر الأصول : إن نقش خاتم موسى عليه السلام : لكل أجل كتاب، وفي معجم الطبراني مرفوعا : كان فص خاتم سليمان بن داود سماويا ألقاه الله من السماء، فأخذه فوضعه في خاتم، فكان نقشه : أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي.

وما يروى من أن خاتمه (ﷺ) كان فيه صورة من الصور فهو معارض بالأحاديث الصحيحة في منع التصوير، وقد سقط خاتم النبي (ﷺ) في أثناء خلافة عثمان في بير بحديقة قريبة من مسجد قباء، يعرف ببير أريس.

فعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : اتخذ رسول الله (ﷺ) خاتما من ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع في بير أريس، نقشه محمد رسول الله(34).

وقد بالغ سيدنا عثمان رضي الله عنه في التفتيش عليه فلم يجده، قالوا : وفي وقوعه إشارة إلى أن أمر الخلافة كان منوطا به، فقد تواصلت الفتن، وتفرقت الكلمة وحصل الهرج حتى قال بعضهم : إنه كان في خاتمه (ﷺ) ما في خاتم سليمان من الأسرار، لأن خاتم سليمان لما فقد ذهب ملكه، وخاتمه (ﷺ) لما فقد من عثمان انتقض عليه الأمر، وحصلت الفتن التي أفضت إلى قتله، واتصلت إلى آخر الزمان.

(33) سورة الأعراف، الآية : 102.
(34) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، رقم الحديث 5535.

ويجب نزع الخاتم من اليد اليسرى عند قضاء الحاجة، ولا سيما عند الإستنجاء، لئلا يقع الإسم على النجاسة، وذلك حرام، وربما أدى إلى الكفر والعياذ بالله، وقد كان (ﷺ) ينزعه عند قضاء الحاجة، فعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه.

كما يجب غسل ما تحته إذا أزاله ونزعه وكان ضيقا، وأما مادام في الأصبع فلا يجب إجالته وتحريكه في الوضوء، كما قال الشيخ خليل بتخليل أصابعه لا إجالة خاتمه، وأما في الغسل فيجب تحريكه، قال ناظم مقدمة ابن رشد :

وحرك الخاتم في اغتسالك والخرص والسوار مثل ذلك

ويطلق الخاتم أيضا على الطبع على الشيء، وهو المقصود من الخاتم الذي يستعمل في الأصبع، لما ثبت في الصحيحين أن النبي (ﷺ) أراد أن يكتب إلى قيصر فقيل له : إن العجم لا يقبلون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما، الحديث(35).

ومنه قوله (ﷺ) : كرامة للكتاب ختمه(36)، أي كرامة الرسائل ختمها بالطبع عليها، ومنه أيضا قوله (ﷺ) : آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المومنين، ومنه قوله تعالى : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم(37).

ويطلق الخاتم أيضا على ما بين كتفي النبي (ﷺ) التي نعت بها في الكتب القديمة، وإليها أشار سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح النبي (ﷺ) :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى إسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال الصحابي الجليل عمرو بن العاص في خطابه لسيدنا معاوية رضي الله عنهما :

وألبستها فيك لما عجزت كلبس الخواتم في الأنمل

ومن اللطائف ما ورد في الحديث : الدراهم والدنانير خواتم الله في أرضه، فمن أتى بخاتم ربه قضيت حاجته، ثم اعلم أنه اختلفت الروايات في كون الخاتم الشريف بين كتفيه (ﷺ)، هل مقره بين الكتفين تحديدا ؟ أو هو عند كتفه الأيمن ؟ أو كان إلى اليسار أقرب ؟ وهو أرفع وأشهر.

والسر في كونه إلى اليسار أقرب لأن القلب في تلك الجهة كما قيل :

إذا طبع الزمان على اعوجاج فلا تطمع لنفسك في اعتدال
فلولا أن يكون الزيغ طبعا لما مال الفؤاد مع الشمال

---

(35) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، رقم الحديث 5537.
(36) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 90، وعزاه للطبراني في الكبير.
(37) سورة البقرة، الآية : 7.

فجعل الخاتم في المحل المحاذي للقلب، وفي مستدرك الحاكم عن وهب بن منبه رضي الله عنه : لم يبعث الله نبيا إلا وعليه شامة النبوة في يده اليمنى، إلا نبينا (ﷺ) فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه خصوصية له (ﷺ)، وهل ولد به (ﷺ)، أو وضع حين ولد، أو عند شق صدره، أو حين نبئ (ﷺ) ؟ أقوال.

واختلفت الروايات أيضا في صفته وقدره، قيل أنه غدة حمراء، وفي رواية سوداء، وفي رواية خضراء، وفي رواية كلون جسده (ﷺ)، والغدة بضم العين المعجمة وتشديد الدال المهملة لحم يحدث بين الجلد واللحم مثل بيضة الحمامة، وفي رواية كبيضة نعامة، وفي رواية كالتفاحة، وفي رواية كالبندقة، وفي رواية مثل الجمع حولها خيلان كأنها تآليل، والجمع بضم الجيم وسكون الميم، أي مثل جمع الكف، وهو هيئته بعد جمع الأصابع، وفي رواية شعر مجتمع.

وهذه الروايات لا تعارض بينها، لأنها ترجع إلى اختلاف الأحوال، قال الإمام القرطبي : إنه كان يكبر ويصغر، فكل شبه بما سنح له، وبالجملة فالأحاديث الثابتة تدل على أن الخاتم كان بارزا، وأما رواية : كأثر المحجم، أو كركبة عنزاء، أو كشامة خضراء، أو سوداء، ومكتوب فيها محمد رسول الله لم يثبت منها شيء، كما قاله العسقلاني، وتصحيح ابن حبان لذلك وهم، وقال بعض الحفاظ : من روى أنه كان على خاتم النبوة كتابة محمد رسول الله فقد اشتبه عليه خاتم النبوة بخاتم اليد، إذ الكتابة المذكورة إنما كانت على الثاني دون الأول.

ويطلق أيضا الخاتم على النهاية والتمام، ومنه ختمت الأمر إذا بلغت آخره، وختمت الكتاب أي قرأته كله، ومنه قوله (ﷺ) كرامة الكتاب ختمه، أي كرامة الكتاب قراءته إلى التمام، فلهذا الحديث معنيان، والمعنى الأخير تقدم، وهو من جهة الرواية فيه السدي(38)، وهو متروك.

(38) إسماعيل بن عبد الرحمان السدي، تابعي، قال فيه ابن تغري بردي : صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس إهـ ... توفي عام 128هـ، أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 1 ص 317، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 1 ص 308.

ومن إطلاقه على التمام خاتم النبيئين، وهو سيد الوجود (ﷺ)، قال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين(39) وقال العباس بن مرادس(40) يمدح النبي (ﷺ) :

يا خاتم النبئاء إنك مرسل	بالخير كل هدى السبيل هداك
إن الإله نبا عليك محبة	في خلقه ومحمد سماك

فهو (ﷺ) خاتم الأنبياء لأنه آخرهم : فلا نبي من بعده (ﷺ)، كما قال (ﷺ) : لا نبي من بعدي، وقال (ﷺ) : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب(41).

والمراد بنفي النبوة من بعده (ﷺ) نبوة التشريع والرسالة كالتي وجدت من قبله (ﷺ)، فلا يرد على ذلك نزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان، لأنه كان موجودا بالذات قبل وجود ذات النبي (ﷺ)، ثم رفعه الله إليه، وسينزل في آخر الزمان مؤيدا لشريعة نبينا (ﷺ) وحاكما بها، وهو الخاتم للولاية العامة التي تقع للأولياء بالإرث من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وذلك أن الولاية المنصبية بحسب الإرث المخصوص بوساطة النبي (ﷺ) على تحقيق ما ذكره السادة الصوفية رضي الله عنهم تنقسم إلى عامة وإلى خاصة، وكل منهما إما من باطن النبوة، أو باطن الرسالة، أو من الذات المحمدية، وكل منها تقع للأولياء ، لكن تختلف بحسب الإستتار والظهور، وبحسب كمال الظهور. وهذا الأخير هو معنى ختمها، فالختم في عبارتهم إطلاقات، فتارة يطلقون الختمية ويريدون بها خاتم الخلافة العظمى التي ظهر مبدؤها أولا في آدم بقوله تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة(42)، وختم هذا المقام مقدم على ختم جميع المناصب، وهو لواحد قدمه على قدم أدم عليه السلام، وهو لسيدنا ومولانا علي كرم الله وجهه، لأن كمال الخلافة فيه انحصر، فلا يدرك مرتبته أحد من الأولياء بعده، وهو معنى كونه خاتما، لا أن المقصود لا ولي بعده يوجد، بل توجد الخلافة بعده في غيره دون مرتبته، فلذلك يوصف صاحب هذا المقام الأخير بالملك.

---

(39) سورة الأحزاب، الآية : 40.
(40) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، من خيرة شعراء الإسلام، أمه تماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة، توفي في خلافة عمر بن الخطاب عام 18هـ، أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ت 4502، وفي تهذيب التهذيب لنفس المؤلف ج 5 ص 130، وفي الروض الأنف للسهيلي ج 2 ص 283، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 267.
(41) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 131 وعزاه لأحمد في المسند وللترمذي والحاكم في المستدرك.
(42) سورة البقرة، الآية : 30.

وتارة يقصدون بالختمية ختم الإمامة، وهذا على أولاد سيدنا علي كرم الله وجهه، فهم الخاتمون لها، بمعنى أن كمال ظهور الإمامة تحقق بالإختصاص فيهم، بحيث لا يظهر مثله في غيرهم.

وتارة يقصدون بها ختم المقام الذي ما فوقه إلا درجة النبوة والصحبة المحمدية، وهو أعلى مقام في درجة القطبانية، وهذا لا يلحقه إلا أفذاذ من الأقطاب المحمديين، وهو لواحد في كل وقت، كالمجدد الذي يأتي على رأس كل مائة سنة، وهذا المقام ليس مخصوصا بمعين.

وقد وصل إليه غير واحد كسيدي علي بن وفا(43) نسبها لوالده سيدي محمد(44)، وكالإمام القشاشي(45) وغيرهما رضي الله عن الجميع، وشرط صاحب هذا المقام أنه لو قدر محو الشرائع كلها لأملى رسومها من حفظه من غير مطالعة، ويعرف اسم كل واحد بعينه من جميع الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك، ولذلك قال سيدي علي بن وفا رضي الله عنه : أكمل المظاهر في كل زمان هو الذي يظهر بكشفه وبيانه لأهل زمانه مما لم يكونوا يحتسبون، وهو غيب الله الذي لا يظهر عليه إلا من ارتضى له.

وكل واحد ممن وصل إلى هذا المقام له فيه تجل مخصوص بقدر ترقيه بما حواه، فهم وإن اشتركوا في إدراك هذا المقام والوصول إليه فهم متفاوتون في ذلك.

وقد ختم هذا المقام بالخاتم الأكبر، والعارف الأشهر، الكوكب النوراني، مولانا أحمد التجاني(46)، رضي الله عنه وسقاني من كأسه الحقاني، ومعنى ختمه لهذا المقام أنه لا يظهر أحد فيه بمثل الظهور الذي ظهر به هو، فهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب، لا لنفس

---

(43) علي بن محمد بن وفا، من أكابر أعلام الصوفية بمصر، ولد بالقاهرة عام 759هـ، وبها توفي عام 807هـ، من مصنفاته : الباعث على الخلاص في أحوال الخواص، والكوثر المترع من الأبحر الأربع، ومفاتيح الخزائن العلية، وغيرهم. أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 22 رقم الترجمة 315، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 6 ص 21، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 142، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 7.

(44) محمد وفا بن محمد بن محمد، من أكابر أعلام الصوفية بمصر، أصله من بلاد المغرب، له عدة مصنفات في التصوف منها : نفائس العرفان من أنفاس الرحمان، وشعائر العرفان في ألواح الكتمان، والأزل، والمقامات السنية المخصوص بها السادة الصوفية، والعروش، والصور، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا عام 765هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 21 رقم الترجمة 314، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 141، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 279، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 6 ص 206، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 37.

(45) أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشي، صوفي جليل، أصله من القدس من آل الدجاني، نزل جده يونس بالمدينة المنورة واتخذها موطنا له، وبها ولد حفيده صاحب الترجمة سيدي أحمد القشاشي، ومصنفاته تزيد على 70 تصنيفا، أغلبها في علم التصوف، منها : كلمة الجود في القول بوحدة الوجود، والدرة الثمينة فيما لزائر النبي (ﷺ) إلى المدينة، وكانت وفاته رحمه ا عام 1071هـ. أنظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 970 رقم الترجمة 547، وفي الرحلة العياشية ج 1 ص 407-429، وفي صفوة من انتشر للإفراني ص 119، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 1 ص 343، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 239.

(46) أنظر التعريف به في ج 2 ص 298-319 من هذا المؤلف.

الظهور، وليس المراد بالختم في هذا المقام ألا يظهر أحد بمنصب الولاية بعده كما قد يتوهم، وهذا المقام هو الذي ادعاه ابن عربي الحاتمي قدس سره إذ قال :

بنا ختم الولاية دون شك   بورث الهاشمي مع المسيح

تم رجع عنه لما علم أن كمال الظهور فيه لغيره، ولم يطلع على صاحب كمال هذا الظهور، فلذلك سماه كغيره بالمكتوم.

وتارة يقصدون بها خاتم الوراثة النبوية، بحيث لا يوجد بعده ولي ذو تصريف، كما يتصرف من على قدم نبي من الأنبياء قبل وجود هذا الخاتم، وهو الإمام العدل سيدي المهدي المنتظر، وأما الولاية من غير تصريف فلا تنقطع بعده، وأما خاتم الولاية على الإطلاق الذي لا يوجد بعده ولي فهو سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام.

وتارة يقصدون بها خاتم وجود الولادة، بمعنى أنه هو آخر مولود يوجد في النوع الإنساني، وهو مخصص بواحد قدمه على قدم سيدنا شيت عليه السلام، وهو حامل أسراره، وليس بعده ولد في هذا النوع، فهو خاتم الأولاد، وتولد معه أخت له، فتخرج قبله، ويخرج بعدها، ويكون رأسه رجليها، ويكون مولده في الصين، ولغته لغة بلده، ويسري العقم في الرجال والنساء، فيكثر النكاح من غير ولادة، ويدعوهم إلى الله فلا يجاب، فإذا قبضه الله وقبض مومني زمانه بقي من بقي مثل البهائم، لا يحلون حلالا ولا يحرمون حراما، يتصرفون بحكم الطبيعة شهوة مجردة عن العقل والشرع، فعليهم تقوم الساعة.

فعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله(47)، وفي رواية لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله، وعنه (ﷺ) : إن الله عز وجل يقول لإسرافيل : إذا سمعت قائلا يقول الله الله فأخر النفخة أربعين سنة إكراما لقائلها، وعنه (ﷺ) : لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس(48)، من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، يتهارجون تهارج الحمر، الحديث، ومعنى يتهارجون تهارج الحمر، أي يتدابرون، يقال بات فلان يهارج زوجته أي يجامعها، قال الأصمعي ومن إطلاق الخاتم أيضا على النهاية، والتمام الختم بالسعادة أو الشقاء على من قدر الله تعالى عليه ذلك وقضاه.

والخاتمة بذلك أخفاها الله على عباده ليكونوا بين خوف ورجاء غير آمنين من مكر الله، وإن بلغوا ما بلغوا في العبادة والطاعة، لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وما قطع أكباد العارفين بالله إلا خوف سوء الخاتمة والعياذ بالله. ممن قدر الله عليه الشقاوة وختم عليه بها وإن استغرق عمره في الطاعة، ومن كتب عليه بالسعادة ختم له بها وإن عمل ما عمل من الزلات والعاهات، قضاء من الملك الفعال لما يشاء، سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(47) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 202، وعزاه لأحمد في المسند، ولمسلم في صحيحه وللترمذي.

(48) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 202، وعزاه لمسلم في صحيحه ولأحمد في المسند.

أخرج الإمام البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويومر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها(49).

وفي البخاري موفوعا إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم(50).

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة.

والسر في إخفاء الخاتمة هو تخويف العبد وترهيبه لئلا يتكل على عمله أو يحقر غيره، أو يرى لنفسه المزية على غيره، ورضي الله عن الشريشي حيث قال في رائيته :

ولا ترين في الأرض دونك مومنا ... ولا كافرا حتى تغيب في القبر
فإن ختام الأمر عنك مغيب ... ومن ليس ذا أمن يخاف من المكر

لكن بحكم قدر الله تعالى وقضائه أن من سبقت له السعادة صرف الله قلبه إلى الخير بحكم الكتابة له به، ومن سبقت له الشقاوة والعياذ بالله كان بعكسه، ففي الحديث : اعملوا فكل ميسر لما خلق له(51).

وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات الباطنية، والظلمة المجاهرين بالمعاصي، فتصيبهم عند الموت المصائب والمحن، وما ينتفي به ثبات القلوب من الأهوال والفتن، والعياذ بالله، ومن أرد الله به خيرا ألهمه إلى التوبة قبل الفوات، فتناله السعادة عند الممات، وقد قال عليه الصلاة والسلام : التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فينبغي للعاقل أن يتوب إلى الله في كل وقت، وأن يحسن ظنه به عند الموت، ففي الحديث القدسي : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، فهو سبحانه كريم يقبل توبة التائبين، ويعفو عن سيئات العاصين، لأن رحمته واسعة، ولازالت نفس إبليس اللعين فيها طامعة، تمسكا بقوله : ورحمتي وسعت كل شيء(52)، وهو من الأشياء، فما بالك بغيره ممن خلقه الله على الإسلام، وأسبل عليه موائد الإكرام، فكيف لا يغفر لمن استغفر من ارتكاب الخطايا والزلل، مع أنه كريم، ورحم الله بعض العارفين حيث يقول مخاطبا المولى جل علاه :

---

(49) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب بدء الخلق، ذكر الملائكة، رقم الحديث 3036.

(50) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، رقم الحديث 6128.

(51) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى فأما من أعطى واتقى، رقم الحديث 4661.

(52) سورة الأعراف، الآية : 156.

أطمعتني بالجود حين برأتني	أفلا ختمت نعمة الإتمام
حاشا الكريم إذا تفضل منعما	مما يشين محاسن الإنعام

وأقول :

بالفضل منك خلقتني بك مومنا	وجعلت ديني أفضل الأديان
فبما استترت بعلمه يا سيدي	إلا ختمت علي بالإيمان

يا من لا تضره الذنوب ولا تنفعه الطاعة، هب ما لا ينفعك، واغفر لي ما لا يضرك، فإنك أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

هذا ولنختم ختمنا ببعض فضائل العلم الشريف وأهله، رجاء أن يحشرنا الله في زمرتهم بمحض كرمه وفضله، فعنه (ﷺ) أنه قال : من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر، قال (ﷺ) : من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يرده العلم إلى الله، ولباب من أبواب العلم يتعلمه الرجل خير له من جبل أبي قبيس ذهبا ينفقه في سبيل الله. وقال عليه الصلاة والسلام : من أكرم عالما كمن أكرم سبعين نبيا، ومن أكرم متعلما كمن أكرم سبعين شهيدا، ومن أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة أيام حياته.

وقال عليه الصلاة والسلام : من زار عالما فكأنما زارني، ومن صافح عالما فكأنما صافحني، ومن جالس عالما فكأنما جالسني، وأجلسه الله معي يوم القيامة، وقال عليه الصلاة والسلام : من عظم عالما فإنما عظم الله ورسوله، ومن تهاون بعالم فإنما ذلك استخفاف بالله ورسوله، وقال عليه الصلاة والسلام : من وقر عالما فقد وقر ربه، إلى غير ذلك مما ورد في فضله.

وكل ما ورد في فضل العلماء يدخل فيه المتعلم والمستمع والمحب، قال عليه الصلاة والسلام : العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس همج لا خير فيهم، وقال عليه الصلاة والسلام : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما.

وقال عليه الصلاة والسلام : كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك، وقال عليه الصلاة والسلام : حضور مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو.

ومجالس اللهو التي يلهو بها الإنسان فسيحة المجال، لا سيما والإنسان دائما مشتغل بالقيل والقال، وقد ورد في غفران مجالس اللهو أيضا ما ينبغي للعاقل أن يجعله في حقه فرضا، فمن ذلك ما رواه الإمام الترمذي وغيره أن رسول (ﷺ) قال : ما جلس أحد في مجلس فكثر به لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك ربي ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، إلا غفر الله له ما فعل في مجلسه.

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه : من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

كملت بحمد الله في يوم الخميس 13 رمضان المعظم عام 1321 من هجرة ذي الجناب الأفخم، (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.